المقدّمة

منذ أن اشتدت الحملة الغربية على الإسلام والمسلمين ونحن نعيش حالة قلق واندهاش، حتى بات تفكيرنا ينصب على مسألة هامة، وهي: كيف نرد الرد المناسب على هذه الحملة؟..

حقيقة انبرى المفكرون والكتاب والغيورون على هذه الأمة، وعلى هذه العقيدة للتصدي القوي على افتراءات الغرب وحملاته المستشرية على الأمة وعقيدتها، وقد وصل بالغرب الحدُّ إلى شنِّ الحملة على القرآن الكريم، والنبي محمد (ﷺ) وعلى تعاليم الإسلام والتاريخ الإسلامي والأفكار الإسلامية، بل وعلى الحضارة العربية الإسلامية برمتها.

كل ذلك قد انطلق من مقولة خرافية بأن الغرب هو مركز كل شيء؛ مركز المعرفة الفلسفية، مركز العلوم والتقدم، مركز الحرية والديمقراطية والتمدن، ومركز التطور الطبي والتكنولوجي.

ولما كان هذا الموضوع هو جوهر البناء الفكري والموقف من الشرق الإسلامي من قبل الغرب؛ فإننا نرى أن الرد على هذه المقولة لن يكون بمقالات هنا وهناك أو بكتاب هنا وهناك، وصرخة هنا وصرخة من هناك.

فالموضوع كبير بحجم التحدي الحضاري، والفكري، والديني، والثقافي، وما إلى ذلك، والموضوع يحتاج لمراجعة شمولية تشمل التاريخ والجغرافيا، وتشمل العقائد والثقافات الدينية والسلوك النفسي والاجتماعي، وتشمل الأدب والعلوم والفلسفة، بل إن الموضوع يحتاج لبصيرة وتمعن وهدوء ومراجعة دقيقة لأقوال ومواقف اللاهوتيين الغربيين، والمفكرين والمستشرقين والمترجمين والإعلاميين والمؤرخين والسياسيين ومن على شاكلتهم.

وما علينا إلا أن نكشف منطلقات هذه الأقوال والمواقف لنصل إلى الحقيقة، وحتى نستنتج هل كلامهم ومواقفهم تنبع من رؤية بريئة موضوعية، أم أنها تنبع من موقف عنصري عرقي ديني متعصب؟.

ومن هنا، فإننا ـ ومن باب الحرص على الموضوعية والحوار المجدي ـ وضعنا في اعتبارنا دراسة مفهوم الحضارة بشقيها المادي والثقافي. وما هو دور الموقع الجغرافي في بناء الحضارة، ثم وضعنا في اعتبارنا مفهوم التدافع الحضاري، وما نتج وينتج عنه من صراعات فكرية ودينية وعسكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية. لقد قيل: (الغرب غرب والشرق شرق) لكننا نصحح ذلك بقولنا: إن جوهر الإسلام لا يقزم الجغرافيا ولا يعرف حدوداً غربية أو شرقية في تعميم العقيدة والتشريع السماوي، فالإسلام ليس دين الشرق، والمسيحية ليست دين الغرب، الإسلام هو الدين العالمي الذي يهدف إلى أن يعمَّ العالم ليُريحه من الخرافات الدينية والوثنية ومن السلوك البشري المنحط والمشين.

لقد حاول الكثيرون من الغربيين أن يرسخوا مفهوم أحادية الغرب في العطاءات الحضارية والثقافية، وأن يقوموا بعملية إقصاء متعمدة للشرق العربي الإسلامي أما الدوافع التي دفعتهم لذلك فهي عديدة ومتنوعة.

لقد أدركوا منذ زمن بعيد أن الشرق العربي هو مهد الحضارات الدنيوية، ومنبع انتشار البشرية، ومن خلال دراساتهم عرفوا أن اليمن وبلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر زرعت حضارة منذ آلاف السنين وصدرت إلى العالم المكونات البشرية الأولى لتبني حضارات أخرى في بلاد أخرى.

ومن المفترض بعد توصلهم الدراسي للحضارة والآثار أن يقولوا الحقيقة، لكنهم ومن باب الحسد وعقدة النقص رفضوا الاعتراف بأن الشرق منبع الزحف البشري إلى الكون الأرضي، ومنبع الحضارة، ولو في أطوارها البدائية الأولى. تستكمل الدائرة حين أدركوا أن الغرب افتقد لأرقى العقائد، ووجدوا دون أدنى شك أن الشرق العربي اختاره الله ليكون مهد الأنبياء والعقائد.

لم يعثروا على نبي غربي بُعث في إنجلترا أو فرنسا أو هولندا أو أمريكا، ولم يعثروا على نبي أُرسل إليه كتاب سماوي يحدد الحق من الباطل وينظم حياة الإنسان وسلوكه في بلجيكا أو كندا أو النمسا أو ألمانيا وغيرها، فالأنبياء جميعاً وُجدوا في هذا الشرق منذ نوح ومروراً بالأنبياء إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وإلياس والمسيح، وصولاً إلى خاتم المرسلين محمد (ﷺ).

حتى المسيح عليه السلام الذي يدّعون زوراً وبهتاناً أنهم على عقيدته ولدته الأرض العربية المباركة فلسطين.

لذلك وجدنا موقفهم الديني تجاه نبوة الشرق وأنبياء الشرق موقفاً حاقداً حاسداً، ونعتقد أنهم بسبب هذا الموقف لم يرضوا أن يسيروا على عقيدة المسيح الأصلية فراحوا يحرفون فيها ليلاً نهاراً حتى جعلوها عقيدة وثنية تناسب ذوقهم الوثني الذي عاشوا فيه وأشربوا من منابعه الوثنية، وحين راحوا يزعمون أن الغرب قدم أرقى أنواع الفلسفة على يد سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من فلاسفة اليونان تناسوا تماماً أن ما قدمته الفلسفة اليونانية ليس سوى نتاج التواصل الفلسفي مع ساحل المتوسط الشرقي، وأن معجزة الفلسفة اليونانية ليست سوى خرافة تمسكوا بها فظنوا أنهم بها يستطيعون إخفاء الحقيقة، بأن فلسفة الشرق منذ الزمن البعيد هي التي صنعت الفلسفة الغربية في جذورها اليونانية والرومانية.

حتى وإن سلم بعضهم بأن الفلسفة اليونانية معجزة تفردت بها أوروبا فإن التاريخ يقول لهم: إن العرب هم من نقلوا الفلسفة اليونانية إلى أوروبا بعد أن قام العرب بترجمتها من اليونانية إلى العربية ثم من العربية إلى اللاتينية. وليس هذا سوى أحد الأدلة على تخلفهم، فكيف لم يعرفوا عن الفلسفة اليونانية شيئاً واليونان بلد أوروبي، كيف لم يعرفوها إلا بعد أن ترجمها العرب في الأندلس إلى اللغة اللاتينية.

وحينما يعتزون بأن الأوروبيين أبدعوا أشياء لم يبدعْ مثلها العرب، ويضربون مثلاً الكوميديا الإلهية لدانتي، والشعراء الجوالين التروبادور في إسبانيا وجنوب فرنسا وحتى في إيطاليا.

وقد أدركوا أن الكوميديا الإلهية بما فيها من تصوير للنعيم والجحيم ليست إلا صدى لمعراج ابن عربي أو صدى لرسالة الغفران للمعري، وأدركوا أن أرقى ما أنتجه شعراء التروبادور ليس إلا تقليداً للموشحات والأزجال الأندلسية في شكلها ومضامينها.

وفي أرقى أشكال الفلسفة راحوا يعددون ويعدون فلاسفة الغرب ونظرياتهم، ولا يلتفتون إلى فلسفة الشرق العربي، وإذا بهم ينسبون لفلاسفة الغرب نظريات عديدة في مجملها جاءت متخلفة عن نظريات فلاسفة الشرق العربي الإسلامي، وتناسوا فلسفة ابن سينا وابن العربي والسهروردي والكندي والفارابي والشيرازي.

لقد ادعوا أن الفلسفة العربية الإسلامية توقفت عند ابن رشد ليأتي دور الفلاسفة الغربيين، وتناسوا صدر الدين الشيرازي ونظريته في الوجود التي سبقت كل ما أنتجه ديكارت وكنط وسبينوزا وهيغل وماركس وسارتر.

أما في علم الاجتماع والنظريات الاجتماعية السياسية فقد كان أبرز ما قدموه تلك النظريات العرقية العنصرية التي أفرزت الأنجلوساكسونية والصهيونية والنازية والفاشية، وقد حاولوا بشتى السبل أن يقنعوا أنفسهم بأن هناك عروقاً صافية وأن هناك بشراً أرقى من بشر، فاليهود ظنوا أنفسهم ـ بجد ـ شعب الله المختار، والألمان ظنوا أن العرق الآري هو أرقى العروق، وبسبب ذلك شُنَّت الحروب وعمت الكرة الأرضية حربان عالميتان راح ضحيتهما عشرات الملايين من البشر.

أما الأنجلوساكسونية فادّعت أساساً تفوق العرق الأبيض على غيره، واعتبرت أن العبودية التي صُبَّت على السود هي نعمة إلهية عليهم ليخدموا البيض الأرقى عرقاً وعنصراً، وبسبب ذلك كانت الإبادة الجماعية للهنود الحمر في أمريكا الشمالية، وكانت كذلك الاضطهادات المستمرة للسود الأمريكيين الذين عانوا الويلات على مدى مئات السنين على أيدي المهاجرين البيض من أوروبا.

بمقابل ذلك قدّم الإسلام أرقى نظريات المساواة بين الناس منطلقاً من مبدأ راسخ وهو قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾.

فالنازية طرحت أفضلية العرق الآري، والأنجلوساكسونية طرحت أفضلية العرق الأبيض. والصهيونية طرحت شعب الله المختار. وهذه كلها إفرازات الفلسفة الأوروبية، ولا يستطيع الغرب أن ينكر ذلك. وفي كل المقاييس فإن هذه الفلسفة العنصرية بقيت وستبقى وصمة عارٍ في وجه أوروبا مهما تحضرت ومهما بلغت بحديثها عن الديمقراطية والحريات والتقدم.

وعلى الغرب ألاّ يتناسى الجانب الأسود من تاريخ أوروبا، فالحروب الدينية التي شنها قسطنطين بعد عام 330م على كل من خالف مذهبه المسيحي أودت بحياة عشرات الآلاف من المسيحيين الآخرين في روما وغيرها من البلدان الواقعة تحت نير الاحتلال الروماني، وعليه ألا يتناسى كيف قادت الكنيسة في القرن الحادي عشر الأوروبيين في حروب إبادة أطلقوا عليها الحروب الصليبية، ولم يوفروا فيها المسيحيين البيزنطيين ولا المسيحيين العرب ولا بقية الناس من العقائد الأخرى.

ومن المخجل حقاً أن الكنيسة اعتذرت لليهود عما ارتكبته بحقهم في العصور الوسطى ولم تعتذر مجرد اعتذار من المسلمين الذين أبادت الحروب الإفرنجية أكثر من مائة ألف منهم في القدس وما جاورها.

ويتهمون العرب بأنهم فتحوا بلاد الشرق بحد السيف بل ونشروا الإسلام تحت التهديد والعنف والقوة، وتناسوا كيف دخل الإسلام إلى أندونيسيا وجنوب آسيا وأواسط آسيا وشمال القوقاز، بل إنهم يُغمضون أعينهم عن اعتناق الشباب الغربيين اليوم هذا الدين الحنيف.

وعبر التاريخ لم يعرف البشر أرحم من العرب فاتحين ودعاةً إلى الله. لم يكتب التاريخ أن العرب أجروا مجزرة بحق شعب من الشعوب، فهل مركزية الغرب تعني أن تقام المجازر في القدس وأنطاكية إبان الحروب الإفرنجية.

وماذا يقول أبناء الغرب عن هذه المجازر؟ هل هي خطأ فاحش ارتكبه أجدادهم ويجب الاعتذار عنه؟ أم أن بعضهم يرى فيها مهمة غربية لإبادة العرب والمسلمين انطلاقاً من نظرياتهم العنصرية؟.

وحين نراجع الثقافة الأدبية وما أنتجه الغرب وما أنتجه الشرق ندرك أن لكل أمة ولكل شعب ثقافته الأدبية المتشعبة، لقد عرف الإنسان العربي الشعر بفنونه منذ ما قبل الإسلام بكثير، وامتد وجوده في الحضارة الإسلامية وحتى قبل ميلاد المسيح بكثير عرف الشرق الملاحم الأسطورية الكبيرة مثل ملحمة جلجامش وملاحم البابليين والكنعانيين واليمنيين، والباحثون الغربيون يعرفون تماماً ماذا كانت عليه الملاحم الشعرية العربية منذ فجر التاريخ.

ونحن إذ نقول ذلك فإننا نؤكد لأمم الغرب أن الملاحم الأسطورية العربية القديمة لا تنفصل عن الحضارة المعنوية الثقافية العربية القديمة. وقد عرف العرب الملاحم الشعرية المتأخرة التي وُجدت قبيل الإسلام ببضع عشرات من السنين، وجاء الشعر العربي معبراً عن بيئته وحوى من العناصر الفنية الكثير، مما جعل المستشرقين أمثال نولدكه وبروكلمان وغيرهما يعترفون بقيمة هذا الشعر وتعبيراته وفنياته العالية.

وامتد وجود هذا الشعر حتى العصر الأموي والعباسي وما بعدهما إلى أن وصل إلى وقتنا المعاصر. عرفنا العشرات من الشعراء والمبدعين منذ امرئ القيس وزهير والنابغة والأخطل وجرير والفرزدق ثم أبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي العلاء وغيرهم وغيرهم..

عرفت الثقافة الأدبية فنون الموشحات والغناء وعرفت عباقرة الفن الغنائي أمثال الموصلي وزرياب وغيرهما، وعرفت التصنيف الموسوعي، حتى فيما أسموه عصر الانحطاط، ويكفي أن عباقرة التصوف الإسلامي ورثوا لنا صورة أدبية فلسفية صوفية لم يحلم بها الغرب يوماً.

عصر الانحدار الذي هو بكل المقاييس أرقى من أي عصر ذهبي أوروبي أنتج لنا الموسوعات التي تنوء بحملها الرجال، ولولاها لافتقدنا لكثير من أصول علم التاريخ والاجتماع والفقه والحديث والسير وغيرها من العلوم.

ليتذكر الغرب أن العرب قدموا أرقى نموذج للتأريخ من خلال علم الحديث الذي وصل قمته عند البخاري ومسلم وأصحاب السنن والعلماء الذين جاؤوا بعدهم، ليضعوا أدق الأسس والشروط لهذا العلم الذي أصبح مقياساً لعلوم أخرى كعلم التاريخ والاجتماع والسير.

وقدم العرب فنوناً أدبية وفكرية أخرى، وأرخوا لتاريخ البشرية، فعرفنا تاريخ الطبري وابن كثير وابن الأثير وابن خلدون، وعرفنا ابن عساكر والمقدسي وابن شداد والعماد الأصفهاني وغيرهم، وغيرهم ممن كتبوا في تاريخ الأمم والشعوب وبداية الخلق والعقائد والأديان.

وعندما كتب هؤلاء مصنفاتهم في التاريخ والاجتماع كانت أوروبا تعيش في ظلمة دامسة وتخلف منحدر، ولم يقدروا في تلك العصور أن يبدعوا شيئاً ولو غيرة وتشبّهاً مما قدمه العرب والمسلمون.

وحتى في مجال العلوم التطبيقية فهل عرف الغرب علم الفلك مثلما عرفه العرب؟ وهل عرفوا الطب كما عرفه ابن سينا وغيره؟، ألم تعتمد الجامعات على كتاب القانون في الطب في بداية عهد الأوروبيين بهذا العلم؟ وفي الصيدلة والكيمياء والرياضيات فهل ضاهوا الكندي وابن النفيس وأبي حيان والخوارزمي في علم الجبر؟.

إن الغرب يدرك كل ذلك، لكن المتعصبين والعنصريين أرادوا أن يتغافلوا عما قدمه العرب والمسلمون للحضارة الإنسانية من علم وفلسفة وأدب يدفعهم في ذلك العقلية المتعصبة التي تدفعهم إلى القول بمركزية الغرب وهامشية الشرق، وعندما بدأ عصر النهضة والصناعة والتقدم العلمي في أوروبا أوجه، ظن الغربيون أنهم استطاعوا أن يحققوا نظرية مركزية الغرب، فبنظرهم أن انفصال الدين عن

الدولة وتخلي الشعوب الغربية عن سيطرة الكنيسة الكاثوليكية هو الذي دفع بالتقدم العلمي والفكري في أوروبا إلى الأمام. وعليه؛ فإن على العالم العربي فصل الدين عن الدولة حتى يتقدم أو يلحق بركب الحضارة المادية العلمية في أوروبا.

والواقع هذا المقياس ليس صحيحاً، لأن الكنيسة حاربت العلماء واضطهدت المبدعين وخلقت ما يسمى طبقة النبلاء المتعاونين مع الكنيسة لكي تضطهد الفقراء والفلاحين في القرى والبلدات الأوروبية.

بينما العكس صحيح لأن الإسلام هو الذي رفع الأمة وهو الذي حفّز على العلم والتقدم، ولو قارنا بين دور الكنيسة ودور المسجد لوجدنا النقيض تماماً من حيث الدور والمكانة.

إن الكنيسة تحالفت مع قوى الظلم الأوروبية لتشن حروبها الإبادية ضد الشعوب بينما كان الإسلام حرباً على الظلم والإقطاع والقهر، بل إن الدين كان الرقيب الأقوى على تصرفات الحكام، والأفراد والحياة الاجتماعية، من المسجد انطلق العلماء والمؤرخون والفلاسفة والمفكرون بينما لم ينطلق من الكنيسة سوى الجهلة والظالمين والمغرمين بالثروات والإقطاع.

ونحن نعترف بأن الأمة عندما أهملت دور الدين في حياتها تخلفت وتنازعت وضعفت وتفتتت.

وواقعنا العربي والإسلامي اليوم يدلل دون أدنى شك على أن الأمة التي كانت موحدة تفرقت بسبب بعدها عن المنهج القرآني لأنه منهج رباني غير محرف ولم تعبث في نصوصه أيدي المؤلفين كما فعلوا في العقائد الأخرى مثل المسيحية الغربية واليهودية المعاصرة.

وعندما يدعي الغرب أنه تخطّى كل الحواجز ليصل إلى ما وصل إليه من علوم وتقدم تكنولوجي يتناسى دور الأدمغة العربية الإسلامية المهاجرة في ذلك التقدم، فكم من عشرات بل مئات العلماء والاختصاصيين العرب هاجروا إلى

بلاد الغرب وعملوا في أدق أنواع العلوم وأخطرها، وكانوا مبدعين حقاً ولا يستطيع الغرب أن ينكر دور عظماء الأطباء العرب المهاجرين في اختراع الأدوية والعلاجات المبتكرة وكذلك دور علماء السفن الفضائية والفضاء والصناعات الإلكترونية المعاصرة.

وإن كان الغرب يريد الإنصاف فليذكر الأرقام الحقيقية للعلماء والباحثين والأطباء العرب والمسلمين الذين يساهمون في تقدم أوروبا في علمها وفنونها وصناعاتها وتجارتها.

وليتذكر الغربيون أن أمريكا أو بريطانيا أو غيرهما تقدمان العروض المالية الخيالية لاستقطاب العلماء العرب بل وسرقتهم إن صحّ التعبير، أو منعهم من العودة إلى بلادهم بعد أن أنجزوا علومهم بتفوق وإبداع.

أما عن المواقف المتباينة بين موقف الغرب من الإسلام وموقف الإسلام من الغرب اليوم فالحديث طويل ومتشعب.

فما هو موقف الكنيسة اليوم من المسلمين والحضارة الإسلامية، ما موقف الكنيسة من انتشار الإسلام السريع في أوروبا وأمريكا؟.

عندما نراجع موقف الكنيسة الكاثوليكية من الإسلام والمسلمين لابد أن نقول كلمة أو جملة يستند عليها موقف الغرب الديني من الإسلام والحضارة الإسلامية، هم يقولون: نحن نعترف أن هناك مسلمين ولا وجود للإسلام. هم لا يعترفون بالإسلام ديناً وعقيدة، ولا يعترفون بنبوة محمد (ﷺ) ولا يعترفون بالقرآن كتاباً سماوياً منزلاً من الله عز وجل، بل إن البابا الحالي يقول بملء فيه إن الحضارة العربية الإسلامية لم تقدم شيئاً خيّراً للبشرية! بينما نحن ـ العرب والمسلمون ـ لا نهضم حق أحد في اختيار عقيدته، وانطلاقاً من مبادئ القرآن الكريم نحن نؤمن بالنصرانية الحقة واليهودية الحقة ونؤمن بالتوراة الصحيحة والإنجيل الصحيح ونؤمن بموسى وعيسى وبقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وعلى الرغم من التحريف الذي جرى في النصرانية فإننا لا نتوانى عن الدعوة إلى حوار الأديان حتى يسود التفاهم والتعارف بين خلق الله. ولا نتوانى عن الحوار مع الكنائس المسيحية المختلفة من كاثوليكية وأرثوذكسية وبروتستانتية.

إن جوهر العقيدة الإسلامية ينبني على الانفتاح على الآخر ومحاورته، ولم يعرف التاريخ شيئاً من الانغلاق على الشعوب والأمم، لقد اعترف الإسلام بالعقائد الأخرى واعترف بالشعوب جميعاً ولم يُكره بالضغط على اعتناق الدين الإسلامي، فسياسة الإقصاء ليست من طبيعة هذا الدين الحنيف، وعبر التاريخ تعايش المسلم والمسيحي واليهودي والمجوسي في ظل الدولة الإسلامية، وقد وصل التعايش حد اعتماد الوزراء والأطباء والمستشارين من النصارى واليهود.

فأين هذا من سياسة الإقصاء الغربية؟ أين هذا من سياسة التعصب في الكنيسة الكاثوليكية وملحقاتها؟. ألم تستخدم الكنيسة سياسة الإقصاء لكل من هو مسلم؟ ولننظر إلى حكومات الدول الغربية، وأحزابها المسيحية، هل نجدْ منها سوى الحقد والمواقف المتشنجة من الإسلام والمسلمين.

وعندما ننظر إلى المواقف المتراكمة للغرب بشكل عام بعد أحداث 11 أيلول ندرك أن هناك إعداداً خفياً لهذه الحملات القاسية على الإسلام والمسلمين وقد راح الغرب يشن حملته على كافة المستويات، على المستوى السياسي، وعلى المستوى الديني وعلى المستوى الإعلامي، وكانت الإفرازات عديدة ومتنوعة فهناك في الدانمارك انبرى بعض الصحفيين لشن حملة تشويهية للنبي محمد (ﷺ) ولحقتها فرنسا وهولندا وبعض المغرضين في بلجيكا وغيرها، وهناك من راح يصنع كتاباً يسميه فرقان الحق تشبهاً أو نكاية بكتاب الله القرآن الكريم.

وهناك حملات التنصت والمراقبة للمسلمين جميعاً من قبل أجهزة الأمن الأمريكية وقد ضاق الحال بالمسلمين من جراء التضييق المتعمد والقاهر على المسلمين المهاجرين والمقيمين في دول الغرب بشكل عام.

وليس بعيداً عن ذلك بروز النازيين الجدد الذين هاجموا بيوت المسلمين في ألمانيا وأحرقوها واعتدوا على سكانها.

لقد أسس معظم المستشرقين نظرة عنصرية ضد الإسلام والمسلمين والحضارة العربية الإسلامية. ولا نعتقد أن الأجيال الأوروبية تخلّصت مما حُقنوا به من أفكار هؤلاء المستشرقين، فمع تطور وسائل الإعلام حملت بعض الأوساط الغربية الإعلامية على توجيه كل قدراتها التخريبية نحو العالم العربي والإسلامي ولا يمكن أن نتناسى أو نتغافل عن دور بعض المحطات العربية السيئة التي تُوجد من قبل أوساط غربية مشبوهة، إضافة إلى الإعلام الغربي الذي يضع السم بالدسم. فلا يقدم برنامجاً علمياً أو سياسياً إلا ويضع فيه شيئاً من التخريب النفسي الموجه بدقة وخبث، وما يُقدم للجمهور الغربي هو غيره الذي يُقدم للعالم العربي والإسلامي.

وليس بالمستغرب أن نرى التعاون الوثيق بين الإعلام الصهيوني والإعلام الغربي، فهناك العشرات من البرامج السياسية وغيرها توجّه لعالمنا العربي والإسلامي للتشكيك في إسلامنا وتاريخنا وحضارتنا، وهناك العديد من البرامج التي تُكرس لإظهار دور ما لليهود أو للغربيين في نهضة أمتنا ومدّها بعصرنة العلم والاجتماع والتطور. وكل ذلك يأتي ضمن أهداف محددة مسبقاً غايتها التدمير المنهج لهوية العروبة والإسلام وشخصية إنسان هذه الأمة.

وعلى الرغم من كل هذه المواقف والمخططات لم يكتفِ الغرب بالأساليب السياسية والإعلامية بل أخذ بشن حروباً جديدة على الأمة، ويصطنع التلفيقات والحجج الواهية لتدمير أي نهضة عربية إسلامية في أي مجال كان.

شنَّ الغرب عدوانه على شعب فلسطين وشرد أهلها واصطنع دولة الكيان الصهيوني لتكون سيفاً مسلطاً على رأس الأمة، تمنعها من الوحدة السياسية والاقتصادية وتهدد مصالحها وتطلعاتها نحو المستقبل الأفضل.

ثم شنَّ حروبه المتتالية على العرب والمسلمين في مصر وسوريا والعراق، ثم في البوسنة والهرسك، ثم مرة أخرى على العراق وأفغانستان وغيرها من البقاع

الإسلامية وقتل الأبرياء وشرد النساء والأطفال ودمر البيوت والقرى والمدن، كل ذلك تحت ذريعة الإرهاب ومحاربته، وما هي سوى تطبيق لنظريته القائلة بمركزية الغرب وهامشية الشرق، فالغرب هو السيد والشرق هو المستعبد، ويحق للغرب ما لا يحق لغيره، فليدمر وليشرد ولا أحد يحاسب أو يحتج أو يتمرد.

وأخيراً وليس آخراً ظن الغرب أن مصطلحاته التي اخترعها لتكون لعامة الناس هي مصطلحات تحتاجها البشرية لتنقذ نفسها ولتتطور وتتقدم.

فصرخ بالديمقراطية وراح يتشدق بها في كل إذاعة ومحطة وجريدة ومجلة، فأين هي الديمقراطية من التضييق على المسلمين في بلاد الغرب، أين هي الديمقراطية مما يقوم به الغرب من حروب إبادة في العراق وفلسطين وأفغانستان؟.

وتحت شعار الحرية الشخصية أباح الغرب الموبقات والمحرمات فصرنا نسمع عن زواج المثليين والسحاقيات والزنى في الشوارع والحارات، وهذه هولندا تشهد على ذلك، وهذه السويد تشهد أيضاً، وتلك ألمانيا وفرنسا وغيرها، فما هي الحرية التي دعم أركانها الغرب، هل هي وجود مئات الألوف من الأطفال الذين لا يعرفون آباءهم، أم هي المنازل التي تحتوي على زوجين ذكرين أو امرأتين يمارسون الشذوذ بكل حذافيره.

وهل الحرية الشخصية أن يبلغ عدد المطلقات في فرنسا وحدها خمسة ملايين امرأة لا تلوين على شيء.

وفي جميع الأحوال فإننا نقف اليوم وفي كل يوم تحت وطأة الرد الموضوعي المناسب على هذه الخرافة التي تخيلها الغرب وهي مركزية الغرب وهامشية الشرق ويحدونا الأمل أن نبلغ رسالتنا المدافعة عن هويتنا وشخصيتنا وعقيدتنا وحضارتنا وحاضرنا ومستقبلنا، وأن نقول للغرب هذه خرافة أقلعوا عنها لأن الذي قدمه الشرق العربي الإسلامي للحضارة الإنسانية كلها يفوق كثيراً ما قدّمه الغرب، وليس ذلك من باب الأنا والرياء، والتعصب والعنصرية، إنما هي حقيقة، عليكم أن تعيدوا أفكاركم ورؤيتكم وتعيدوا الحق إلى نصابه.